

محاضرة

في :

البحث العلمي: قواعد التفكير

وأسس البحث والتحرير

د.محمد خروبات

أستاذ التعليم العالي بجامعة القاضي عياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكتاب: البحث العلمي : قواعد التفكير وأسس البحث والتحرير

تأليف: الدكتور محمد خروبوات

الرقم المعياري الدولي للكتب

ISBN :978-9920-30-609-6

المكتبة الوطنية للمملكة المغربية – الرباط .

الطبعة الأولى : أبريل 2022م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

عناصر المحاضرة

- تقديم.....6
- أولاً: القواعد النظرية للتفكير.....8
- 1- القواعد الأخلاقية للتفكير:.....8
- 2- القواعد التوجيهية للتفكير.....9
- 3- القواعد المجالية للتفكير:.....11
- أ- الوعي بالمجال.....11
- ب- الوعي بالاستمرارية.....13
- ج- علاقة الجامعة بالمجتمع.....14
- ثانياً: القواعد البنائية للعلم.....15
- 1- الوقوف على مقاصد العلم.....16
- 2- تملك تاريخ العلم.....16
- 3- تملك لغة العلم وأسلوبه ومصطلحاته.....17
- 4- معرفة أعلام العلم وتملك مصدرية العلم.....18
- 5- تملك منهج العلم.....18
- 6- التحلي بالروح النقدية.....19
- ثالثاً: القواعد البنائية للفهم.....20
- 1- مقدمة توجيهية.....20
- 2- قواعد إجرائية.....22

أ- فهم قبل الإنجاز.....	23
ب- فهم أثناء الإنجاز.....	23
ج- فهم ما بعد الإنجاز.....	24
3- التّنظير لعلوم النّقل.....	25
4- المعارف والأعمال " مقابلات منهجية".....	26
5- قواعد بناء النّظرية.....	31
رابعاً: شروط البحث.....	34
1- شروط زمانية.....	34
2- شروط منهجية.....	35
3- شروط شكلية.....	35
4- شروط موضوعية.....	36
5- شروط لغوية وأسلوبية.....	37
6- شروط مكتبية.....	37
7- شروط توثيقية.....	38
8- شروط تأصيلية.....	39
9- شروط واقعية.....	39
10- شروط أخلاقية تربوية.....	40
خامساً: إفادات في بناء الدّات.....	41
1- حضور مناقشة الرّسائل الجامعية.....	41
2- خصائص (المقارنة) في البحث العلمي.....	50
خاتمة.....	56

تقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين ،

وبعد:

بداية، أشكر مكتب الدراسات العليا في كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية بجامعة قطر في شخص السيد العميد ونائبه الأستاذ الدكتور
محمد المجالي على الدعوة وحسن الاستقبال، والشكر موصول لفضيلة
الأستاذ الدكتور يوسف بلمهدي على تسييره للجلسة ، وتحياتي الأخوية
الخالصة لكلّ الأحاباء العلماء العاملين في الحقل العلمي الأكاديمي
والذين ذاع صيتهم واشتهرت معارفهم في ربوع العالم.

أيها الباحثون، أيتها الباحثات:

محاضرنا اليوم تروم طرح موضوع حيوي يتعلّق بـ " قواعد التّفكير وأسس الضّبط والتّحرير في البحث العلمي "1، وقد أثرت أن يكون الموضوع شاملا لكلّ التّخصصات العلمية في الجامعة، وإن ذكرنا تخصصاتنا فمن باب الاستشهاد والتّمثيل ليس إلّا. من البدهي جدّا أن نُعمل التّفكير قبل الجمع والتّحرير، فالأفكار يجب جمعها في الذّهن أولا، وتنقيتها فيه ثانيا، وترتيبها ثالثا، ومن ثمّ تحريرها في الفكر وبالفكر رابعا. إن "البحث العلمي" المقصود بالكلام هنا لا يأتي من الأوراق والمصادر والمراجع لأنّ هذه كلّها نتيجة تفكير، والتفكير عملية تبنى على "الفهم" ويقوم بها العقل...ولذلك فالفهم قضية أساسية في عملية البحث العلمي؛ فالمناقشات والمباحثات والانتقادات وحتى الابتكارات في مجال البحث العلمي ما هي إلا "فهوم"، فبقدر حسن الفهم يكون حسن

1-ألقيت المحاضرة بدعوة من مكتب الدراسات العليا في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر على منصة teams microsoft بتاريخ 28 مارس 2022م، وقد ألحقنا بها بعض العناصر العلمية ذات الصلة بالموضوع ، وهي من منشوراتنا على موقعنا الأكاديمي kharroubat.com

التّصوّر، ومدار ثقافتنا على " النّص " الذي يحتاج إلى فهم وتدبر، وحتى المؤلّد منها لا يخرج إلى الوجود إلاّ بالفهم. وقبل القول إنّ التفكير في النّص نعمةٌ نقول : إنّ نزول النّص ووجوده في الوجود من عالم الغيب نعمةٌ، فإذا استحال على الإنسان أن يوجد نصاً وحياً فإنه ليس من المُحال عليه أن " يفهم ويتدبّر " هذا النّص، وقد وفر الله سبحانه وتعالى علينا مُونة إيجاد النّص الشرعي بإنزاله على نبيه محمّد صلّى الله عليه وسلم .

أولاً: القواعد النّظرية للتّفكير

1-القواعد الأخلاقية للتّفكير:

أ- التّفكير جبلة وفطرة:

فطر الله الإنسان على التفكير لغرض إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة؛ وعبادةُ الله لا تكون إلاّ بالتّفكير وإعمالِ العقل بالنّظر في الملكوت وفي

الأحكام الشرعية، وقد انطلقت المعارف والعلوم الإسلامية وتأسست
وتقعدت في التاريخ بالتفكير، ولولا التفكير ما ظهرت للوجود.

ب- تمييز الإنسان عن غيره من الكائنات:

فهو إنسان بالتفكير، وإذا تخلى عن خاصية التفكير أصبح كالأنعام.
ولعل أصعب شيء يتعلق بهذه الخاصية - عند الإنسان - هو المحافظة
عليها، وعدم تعطيلها .

ت- التفكير نعمة من النعم التي وهبها الله تعالى للإنسان:

وهي نعمة تستوجب الشكر، ودوام النعمة شكر الله تعالى عليها.
هذه قواعد أخلاقية لا بدّ منها، فهي الأرضية والمنطلق في كلّ كلام عن
التفكير.

2- القواعد التوجيهية للتفكير

هل يمكن للإنسان أن يلغي خاصية التفكير؟ وهل هو حرٌّ في التفكير،
يفكر بما شاء ، وكيفما شاء ، ومتى شاء؟

من جهة أولى؛ فالإنسان - من المنظور الإسلامي - لا يمكنه أن يلغي

خاصية التفكير للأسباب التي تقدّمت الإشارة إليها.

ومن جهة ثانية؛ فلا توجد "ليبرالية" في التفكير من هذا المنظور، أن

أفكر كما أشاء، وفي أيّ شيء... نعم هناك حرية في التفكير لكنّها حرية

مقيّدة بالمراقبة الإلهية؛ أليس الله هو خالقها وواهبها؟ إذن فهو الذي أمر

بالتفكير بما أمر، وهو التفكير المستقيم، (فاستقم كما أمرت)²، لا كما

أردت، ولا كما أريد لك أن تكون.

ومن جهة ثالثة؛ فلا "اشتراكية" في التفكير من المنظور الإسلامي: إذ لا

يمكن أن أفكر كما يفكرون، وأتصوّر الأمور كما يتصوّرون، وأحلّل كما

يحلّلون. ولا يخفى أن القلب مظنة التقوى، والتفكير مرتبط به ، ولذلك

فالقُرآن الكريم نزل على "قلب" النبي صلّى الله عليه وسلم، (فإنّه نزّله

على قلبك)³، ولا يوجد في الإسلام "قلب جمعي" بل فردي ، فالعبادة

2- سورة الشورى الآية 13.

3- سورة البقرة الآية 96.

فردية ، والحساب فردي (وكلّهم آتية يوم القيامة فردا)⁴، وحتى
الجواب عن سؤال الملكين يكون فرديا.

والمفهوم من منطوق ديكارت في الكوجيتو: "أنا أفكر إذن أنا موجود" ⁵،
أنّ الوجود وجود إنسية، وإذا ألغى الإنسان خاصية التّفكير كان
مفقود الإنسية (لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها،
ولهم أذان بلا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل)⁶.

3-القواعد المجالية للتّفكير :

أ-الوعي بالمجال:

أعني بالمجال المجال الذي يتحرّك فيه الأستاذ والطّالب والإدارة
الوصية، هذه الأطراف الثلاثة والمكونة للمجال الأكاديمي إمّا أنها تنتقص
من وظيفتها، أو تجهل وظيفتها بالمرّة فتشتغل بغيرها، أو أن تكون في حكم
العاطل عن العمل: فهي موجودة وغير موجودة.

4- سورة مريم الآية 96.

5- من عبارات ديكارت المشهورة ، ذكرها في كتابه " مقال عن المنهج " .ترجمة محمود الخضيرى، نشر الهيئة العامة للكتاب.

6- سورة الأعراف الآية 179.

قد يتحوّل الأستاذ إلى مجرد ملقّن، وقد يصير الطالب طالب شهادة لا طالب علم، وقد تظن الإدارة أنّها مجرد إدارة لا دخل لها في العملية الأكاديمية التي هي: التّعليم والبحث والتّكوين... فالأستاذ الحقيقي معلّم وباحثٌ ومكوّنٌ. والطالبُ طالبُ علم، وساعٍ إلى التّكوين، وقد يتحوّل في وقت ما إلى باحث، إن كتب له أن يصبح طالب ماستر أو دكتوراة. ولأنّ جل الطّلبة لا يعرفون قيمة مستواهم العلمي، فهم - عن غير وعي - يتقهقرون إلى الوراثة؛ إلى سلك البكالوريوس، وهم في الحقيقة في سلك الماستر والدكتوراة، وهذا يعكسه مستوى تفكيرهم. وقد أثبتت التجارب أنّ الطالب الذي لا يأخذ ما يكفيه من الزّاد المنهجي والمعرفي وطرق البحث في سلك البكالوريوس، يطلبه في هذه المستويات العليا، كالذي ينقصه اللعب في صغره فيعوّضه في كبره؛ فهو يتصابى في الشّيخوخة...هكذا بالضبط حال بعض الطلبة في مجال المعرفة والتّكوين.

تعد الجامعة مجال التّعليم، والبحث العلمي، والتّكوين... والأستاذ الجامعي هو الذي يقود هذا الثلاثي في وظيفته ، ثم إنه يتمثله فكريا ليترجمه عمليا، والطالب الجامعي هو المُستفيد من هذه الثلاثية : يتعلّم ويتكوّن ليصبح باحثا.

ب-الوعي بالاستمرارية:

إنّ الضّامن لاستمرار العلم في المجتمع هو البحث العلمي ، فهو قطب الرّحى في وجود الجامعة، وروح الجامعة في البحث العلمي. والبحث العلمي لا يكون إلّا في الجامعة، وهي التي تزوّد المجتمع والدّولة بالعلوم والمعارف ، فالوعي الجامعي أساسي في نجاعة التّفكير العلمي ، ومن طلب البحث العلمي في غير الجامعة ومؤسّساتها لم يحصل على شيء. فلا يمكن للبحث العلمي أن يخرج من شركة الملابس والأطعمة، ولا من شركة الكوكا والبيتزا... وهذا الوعي هو الذي يُربّي الطّالب الباحث على استشعار جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقه؛ فهو الطّالبُ الباحثُ

وليس غيره، والأستاذ هو الأستاذُ الباحثُ وليس غيره، والإدارةُ الوصيةُ هي الإدارة الأكاديمية وليس غيرها. فبالبحث العلمي يكون التعليم، والطالب يتعلم بالبحث العلمي، والتكوين لا يتمُّ إلا بالبحث العلمي، ومنه فإن البحث العلمي هو عصب الجامعة وعليه مدار التكوين والتعلم. ثم إنَّه الضمانة الأساسية لاستمرار المعرفة داخل العلوم الإنسانية وغير الإنسانية، فالبحث تأسس مع العلوم والمعارف، وبه تطوّرت العلوم وما زالت ، فإذا تراجع العلم فبسبب ركود البحث العلمي.

ج- علاقة الجامعة بالمجتمع:

سواء أقلنا: علاقة البحث العلمي بالمجتمع ، أو علاقة الجامعة بالمجتمع أو علاقة التكوين بالمجتمع، فالأمور كلها تؤول إلى شيء واحد،

وهذا الشيء هو الذي نعمل من أجله، ونرغب في توضيحه، والذي

يلخصه السؤال التالي: هل المجتمع خارج الجامعة ؟

لا شك أن الذين يبحثون عن المجتمع خارج الجامعة مخطئون،

فالمجتمع في قلب الجامعة، ودليل ذلك أن طلبتها هم أبناء المجتمع

وسفراؤه، إنهم زبدة المجتمع، يدخلون من المجتمع إلى الجامعة،

ويتخرجون من الجامعة إلى المجتمع.

ثانيا: القواعد البنائية للعلم:

من القواعد البنائية للعلم والتي تساعد على التفكير العلمي المنهجي،

امتلاك الصنعة العلمية؛ الصنعة حرفة، وهما بمعنى واحد، وأقوى من

أطلق على العلم " صنعة" عبد الرحمن ابن خلدون في المقدمة، وأقوى

من أطلق عليها " حرفة" ماكس فيبر في كتابه " العلم والسياسة

بوصفهما حرفة"، والحرفة والصنعة هما بمعنى واحد، المعنى الذي يدلّ

على إمكانية تملكهما بالتعلم، وهذا الامتلاك لا يأتي دفعة واحدة، بل

عبر الأيام والليالي، وبالتّدرج. فالعقل مثل البطن، لا بدّ من جرعات ووجبات منتظمة ومرتبّة، وهذا يقتضي الصّبر وحبس النّفس على التّحمل. والعلم صنعة لها منطقتها الخاص الذي يجب تمثله والوفاء به، والإخلاص له، وعدم تجاوزه إلى منطق آخر، هذا المنطق إمّا أن يُلقى بك خارج حدود علمك، أو تقرأ علومك بمنطق علم آخر فتُسيء لصنعة العلم ، ولذلك لا مناص لنا من تقديم بعض القواعد التي يُبنى عليها العلم ، ومنها:

1-الوقوف على مقاصد العلم:

إن التدقيق في مقاصد العلم، والغايات التي تأسّس من أجلها يعين على توجيه موضوعات العلم نحو أهدافه ، والقضايا المرغوب في بحثها نحو الغايات الكبرى، وهو ما نطلق عليه " مقاصد العلم " والتي هي جزء من منطقته.

2-تملك تاريخ العلم:

تُمْكِّن المعرفة من الوقوف على نقطة انطلاق العلم وميلاده، ويُمكن
الفضاء السياسي والاجتماعي والثقافي والحضاري الذي نشأ فيه من
معرفة الأطوار والأدوار التي مرّ منها العلم، والمنعرجات والفواصل
ومنحنيات الصّعود والهبوط في هذا التّاريخ، لأنّ اللحظة الآنية لأيّ علمٍ
تنطوي على الزمن السّابق.

3- تملك لغة العلم وأسلوبه ومصطلحاته:

لكلّ علم لغة، ولكلّ لغة أسلوب، ولكلّ أسلوب مصطلحات فنية،
والمصطلح نواة اللّغة والأسلوب، وتملك المصطلح يعني تملك العلم،
والمصطلح هو المعبرّ به، والمفهوم هو المعبرّ عنه بالمصطلح، ونحن في
العلوم لا ندرس سوى مفاهيم المصطلحات عند أصحابها وفي حقل علم
واحد... ويجب عدم الخلط باسم التكامل، فالتكامل لا يعني كتابة علم
بلغة علم آخر، أو فهم مصطلح علم بمفهوم مصطلح آخر، التكامل بين
المعارف والعلوم لا يعني تحويلها إلى غيرها، ومن الإفلاس العلمي كتابة
علم بلغة علم آخر.

4- معرفة أعلام العلم وتملك مصدرية العلم:

أعلام العلم هم مؤسسوه وبُناة حقله، وهم على مراتب وطبقات بحسب المعيار الزمني أو القطري، فمعرفة أعلامهم أُلزم وأحكم، لأنها السبيل إلى معرفة مصدرية العلم؛ فالعلم خرج من التفكير والفهم إلى المصادر التي تحتاج معرفتها إلى تملك مهارات وقدرات معرفية وفنية، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار عدم امكانية البحث عن أعلام علم في أعلام علم آخر، ولا مصادر علم في مصادر علم آخر. فمن التمس التفسير في كتب الفلسفة، أو الحديث في كتب الأدب فاكتب على قفاه "لا يفلح"، نأسف جدا أن نجد رسالة في الفقه الإسلامي لا تشكّل المصادر الفقهية من مجموع مصادرها الرسالة سوى الربع أو أقل، وهكذا في كل التخصصات.

5- تملك منهج العلم:

ونعني بالمنهج طريقة أهل صنعة العلم وقواعدهم في بحث موضوعات العلم، فلكل علم موضوعات تُبحث بطريقة منهجية فنية؛ فالموضوعات

الأصولية تبحث بالمنهج الأصولي، والموضوعات التاريخية تُبحث بالمنهج التاريخي، والموضوعات الفلسفية تُبحث بالمنهج الفلسفي... ولا يمكن بحث موضوع في علم بمنهج علم آخر، وهذا هو الذي يطلق عليه "الإسقاط"، وهو ضرب من الإفلاس في البحث العلمي... حين تَفحصُ رسالة جامعية تجد الباحث يبحث في موضوعات لا علاقة لها بموضوع الرسالة، ومعلوم أنّ فتح الباب للموضوع الخارجي تتبعه مصادر ومراجع وأعلام ومصطلحات لا علاقة لها بموضوع الرسالة، نعم قد تكون لها علاقة بالموضوع المُدرج، لكنه قد يكون بعيدا كل البعد عن الموضوع العام.

6-التحلّي بالروح النّقدية:

من سمات العلوم الشرعية أنّها نقدية، والعقل الإسلامي عقلٌ ناقدٌ وفاحصٌ، وهذه الخصلة للأسف بدأت تختفي عند الطّلبة الباحثين، فالباحث يدخل في موضوع لا يستطيع الخروج منه لأنه لم يعد يتحكّم في مفاصل الموضوع بل أصبح الموضوع من يتحكّم فيه.

ثالثاً: القواعد البنائية للفهم

1-مقدمة توجيهية:

أ- للفهم تعاريف كثيرة، وهذه التعاريف انبثقت عنها أنواع عديدة ولا يهمننا هنا إيراد الأقوال التي سيقت في تعريف اللفظة، ولا التفصيل في أنواع الفهم مثل: الفهم التأويلي، والأيدولوجي، والإبستمولوجي، والتاريخي، والبنوي، والتحليلي والتّركيبي، والفردى والجماعى، والعاطفى والعقلانى إلخ، كل هذه الأنواع موجودة ورائجة فى حقل الثقافة الإنسانىة القدىمة والحديثة، وقد تنوّعت بتنوع المدارس والمذاهب والتّوجهات والتّخصّصات والمناهج.

والفهم المراد هنا هو المرتبط بالبحث العلمى الأكادىمى والذى يدخل فى مجال تخصّص معين، فهو من هذا المنطلق ذو بعد واقعى، وشمولى، وتأصيلى، وتقعىدى ونقدى، نرىد من هذا الفهم أن يخرج من إشكالىة "العقل والنقل"، ومن الثنائيات المبنىة علمىا إلى ثنائىة " العلم والعمل "

أو "العلم والواقع"، كفانا صراعات نظرية وفكرية ضاعت فيها جهود وأوقات، وكل هذا على حساب الواقع والمجتمع والحياة.

ب- اعلم أنّ "العلم"، و"المعرفة"، و"الفهم" أمور متغايرة؛ فلا يلزم من "العلم" المعرفة، كما لا يلزم من "المعرفة" الفهم، فالمقصد الأسمى من الإدراك هو: "الفهم"، فإن فهمتَ فقد عرفتَ، وإن عرفتَ فقد علمتَ. النَّاسُ قد تتساوى في العلم بشيء معيّن، لأنّها إذا علمت خرجت عن حدّ الأمية، فالعلم بالشيء يُخرجك من دائرة الأمية فقط، ورغم أن المسلمين الممثلين يعلمون من الإسلام ما يعلمون إلا أنّ معارفهم به تتفاوت بتفاوت القراءة، والمطالعة، والمجالسة، والمساءلة إلخ، ثم إنّ هؤلاء العارفين تتفاوت معارفهم بتفاوت فهمهم؛ نعلم بأنّ الصلّاة واجبةٌ، وأنّها ركنٌ من الأركان، ونعرف كم هي عدد الصلّوات في اليوم، ووقتها، وما يلزم من طهارة في القيام بها، لكننا لا نفهم سرّ وجوبها، وسرّ توقيتها، والمغزى من توزيعها على اليوم، وفهم مقاصد الأحكام على

الجُملة إلخ، وما نقوله هنا لا ينطبق على الإسلام وأحكامه فقط بل هو عام على الحياة السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وما يتعلّق بالعلوم والمعارف على الإجمال.

2-قواعد إجرائية:

تتدخّل الذات في الفهم، فالفهم ليس بريئاً براءة مطلقة لكونه يُصاغ بالمعاني، فالذي يتحكّم في المعنى هو الفهم، وعلى درجة الفهم يكون المعنى؛ فالذات الفاهمة مُركّبة من حمولات معرفية وعلمية وتراثية، فكلّ ذات تفهم بطريقتها، وفهومنا مرتبطة بخصوصية النصوص الناظمة للمعرفة الشرعية: (إنّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)⁷، والوعي بالنسبة للباحث هو نتيجة فهمه، فالوعي يتشكّل من تجربته الاجتماعية، والسياسية، والثقافية بالإضافة إلى الحمولات التراثية.

نحصر الفهم المقصود في البحث العلمي في ثلاثة أنواع: فهم قبل الإنجاز، وفهم أثناء الإنجاز، وفهم بعد الإنجاز، وليسأل المدرك لفهم الأمور أيّ نوع من أنواع الفهم يريد، لأنّه إنّ تساءل وقف على الجواب، وسهل عليه الإدراك، فكم من

7- طرف من الحديث المشهور بحديث جبريل. أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، 39/1 رقم الحديث 9.

مريد فهم هو النوع الأول لكنّه تائه في النوع الثّاني، أو هو يريد الثالث وتائه في الثّاني أو الأول.

أ- فهم قبل الإنجاز:

لا يمكنك أن تُقبل على إنجاز شيء كيفما كان إلّا وأنت مدرك للدواعي والأسباب والدّوافع، وهذا الإدراك نطلق عليه " الفهم القبلي " لأنه فهم سابق، فهو المتحكم في إخراج الإنجاز إلى حيز الوجود ، وليكن هذا الشيء رسالة علمية، أو كتابا علميا، أو مدونة من المدونات، أو موضوعا أو غير ذلك.

الفهم القبلي هو أساس النّجاح، وهو منطلق الفلاح، وهو عمدة الصّلاح، وحين يأتي الطالب للتسجيل فإننا نختبره في هذا الفهم ليس إلّا.

ب- فهم أثناء الإنجاز:

أثناء الإنجاز يتولّد لديك فهمٌ زائد عن النوع الأول، ورغم أنه لم يكن حاضرا في البداية فإنه يظهر أثناء الشّروع في العمل، قد يظهر في بداية العمل، أو في وسطه، أو في النّهاية، وهذا النوع من الفهم نُطلق عليه

"الفهم البنائي". في هذه المرحلة يكون الباحث في صراع مع المادة العلمية: جمعا وترتبا وتحريرا، وحين نستقبل الطالب كمشرفين - وهو في هذه الوضعية- نوجّهه ونرشده.

ج-فهم ما بعد الإنجاز:

هذا النوع من الفهم يظهر بعد الإنجاز، أي بعد مُضي وقت، وعلى التّراخي، نُطلق عليه " الفهم البَعدي"، على المُدرّك لفهم أموره أن يستعدّ لتمثله، فنجاحه لا يكتمل إلّا بهذا النوع من الفهم، والباحث في نهاية هذه المرحلة يكون سيّد عمله، ويصبح شريكا فيه مع المشرف عليه، بل ربّما أكثر منه.

يقول القاضي عبد الرحيم البيساني: (إنّي رأيت أنّه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلّا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان

يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر).⁸

3-التنظير لعلوم النقل:

ما الجدوى من التّنظير لعلوم النقل ؟

إذا أدركنا الجدوى من التّنظير ضدّ علوم النّقل فإنّنا سندرك الجدوى من التّنظير لها.

صحيح أنّ المُحدّثين ومن سلف من علماء النّقل لم يتعاطوا إلى التّنظير، لأنّ طاقتهم العقلية ضعيفة كما يحلو للبعض أن يتصور، بل لأنّهم لم يكونوا في حاجةٍ إليه لأنّ صنعة العلم لا تقتضيه، وحاجتهم لا تتوقّف عليه، أمّا اليوم فقد تغيّر الحال، وأصبح التّنظير ضدّ علوم النّقل بأسامي متعدّدة، وبألقاب متنوعة مسيطرا ومهيمننا، وأصبحت المُجاهرة به كبيرةً، فقد أضحى فُرجةً وهوايةً تُمارس باسم العلوم والمعارف والنّظريات، بدأ ذلك باكرا

8- أبجد العلوم لصديق بن حسن القنوجي ، تحقيق عبدالجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1978م.

على يد شيوخ رحلوا وآخرين في طور الانتظار، أمّا الجُدد فحدّث ولا حرج ، لا يملكون في التّنظير المضاد " تخصصًا "، ولكنهم باسم التّنظير يمتلكون " تملّصًا " من الأحكام والثّوابت والأصول، وهو تملّص نظري ليس إلّا.

أصبحت الحاجة العلمية والرّغبة المنهجية ماسّةً لهذا النّوع من التّنظير، فليكن تخصصًا أو مجالًا أو اهتمامًا يُرافق علوم النّقل في مسيرتها العلمية والمعرفية، المعرفة الإسلامية اليوم في حاجة إلى الباحث المُنظر، الباحث الذي يمتلك صنعة العلم، ويُدقّق في الجزئيات ليكون له تصور كلي عن المعرفة، ومن ثمّ يكون تفسيره لقضايا العلم في البحث العلمي منسجمًا وهادفًا.

4-المعارف والأعمال " مقابلات منهجية":

تفسير حيثيات بعض المسلكيات المعاصرة باسم الدّين وفي الدّين لا يتمُّ إلا عبر فحص العلاقة بين " العلم " و " العمل "، وفي فقرةٍ من مقدمة أحد كتبي ذكرتُ بأنّ العلاقة بين العلم والعمل في الثّقافة والمجتمع الإسلامي متباينة تباينًا حادًا، إذ أمسى العلم يشقّ طريقه لذاته، والعمل يشقّ هو الآخر طريقه نحو ذاته ، ولم يعد العلم للعمل بل أصبح العلم

للعلم والعمل للعمل، وقد شعر البعض بالتقزز من هذه العبارة، ربّما لأنه لم يفهمها جيّداً، أو ربّما لأنني لم أوضحها كما يجب، لكن الممارسات المُشينة، والأعمال القبيحة باسم الدّين أصبحت دافعا نحو تعميق النّظر في المقولة، وقد خلفتُ تلك التّصرفات تفسيرات عديدة بعضها معقول وبعضها مردول، لكن دعونا نُدلي ببعض التّوضيحات في الموضوع: فقد كتبتُ في ركن المقالات في موقعي الأكاديمي مقالا مختصرا في موضوع " البحث العلمي والمعرفة العلمية "، وقدّمتُ في تلك الكلمة ثلاثة أصناف من المعرفة المحسوبة على الإسلام، وهي: المعرفة العلمية، والمعرفة الخرافية الأسطورية، والمعرفة الارتجالية، وسنحاول هنا أن نرتّب على كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة ما يقابله ويلزمه من أعمال، لأنّ كلّ عمل مسبوق بأفكار مُوجّهة، وكيفما كان حالها فهي تكتسي نوعا من العلم الذي يقودها، وما نقوم به هنا هو الوسيلة الوحيدة التي تُمكننا من فهم بعض التّصرفات، ومن إدراك للمغزى الحقيقي لبعض المُعاملات المُستهجنة والتي تتمّ باسم "الدّين".

أولاً: تُفضي المعرفة العلمية بصاحبها إلى العمل المسدّد بالعلم ، فالغرض من العلم الشرعي المُستفاد بطريقة علمية هو العمل الشرعي المؤيّد بالعلم الشرعي، ولا خير في علم لا يقود إلى عمل، والمسلم الحق يدرك جيداً أنّ عمله برمّته عبادةً، وهذه العبادة لا تتمّ بالجهل بل بالعلم، لأنّ الله سبحانه وتعالى علّم الناس كيف يعبدونه، ولم يترك ذلك بيد البشر للتّبديل والتّحويل، فمثلما أنّه جزء من الكون المسيّر بـ "قانون الطبيعة" فحياته أيضاً وضع لها خالقها "قانون الشريعة"، نخلص إلى أنّ العمل المسترشّد بالعلم النافع يكون عملاً نافعا.

ثانياً: المعرفة الخُرافية الأسطورية ، هذا النوع من المعرفة تتولّد عنه أعمال خرافية، وهي الغالبة للأسف، وتنتشر في صفوف "الأميين"؛ فتعاطي السّحر والكهانة والعرافة وأمور الشّعوذة بمختلف أشكالها، وشيوع بعض العادات الفاسدة في المقابر والجائز، وظلم المرأة بهدر حقوقها ، وشيوع الربا، والفساد بمختلف صورته إنّما هي رذائل تقف

وراءها ثقافة خُرافية محسوبة على الإسلام وليست من المعرفة العلمية
قطعا.

ثالثا: المعرفة الارتجالية: وتسود عند "أنصاف المثقفين"، أولئك الذين
يعرفون ولا يعرفون، ويفهمون ولا يفهمون، هؤلاء يلتقطون النصوص
وبعض القواعد من هنا وهناك ، فمعرفة غير كاملة ، بها تشويه
وتلفيق ، تُبنى عليها فهوم معوجّة ، هذه المعرفة تتولّد عنها ممارسة
مشوّهة ، وهذا ما نلحظه اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية، فالجهل بالعلم
الشرعي في دين الإسلام أوقع في ممارسة غير شرعية ، ويكون هذا
الصنف قد أوقع نفسه في ضد ما أراد، وهؤلاء على أصناف ثلاثة :
صنف يجهل ويعترف بالجهل، وهو وإن أنشأ معرفة ارتجالية فهو في طور
التّعلم ، لأنّه يشق الطريق نحو " المعرفة العلمية" ، وصنف يجهل ولا
يعترف بجهله ، وهو ينتج معرفة ارتجالية من درجة ثانية ، أما الصّنف
الثالث فهو مثل السابق إلا أنه يُجَهّل من يعلم ، وهذا ينتج معرفة

ارتجالية من الدرجة الثالثة. فإذا كان الحوار مع الصّنف الأول لا بدّ منه في التّعلم فإنّ الحوار مع الصّنف الثّاني يصعب ، في حين يكون مع الصّنف الثّالث متعذّرا.

وبقدر ما تحاول المعرفة العلمية بثّ العلم الشرعي ليقنن به النّاس في العمل المشروع فهي في الوقت نفسه تنقد المعرفة الارتجالية ، وتحاول جادّة أن تدفع بها نحو العلمية المحضّة ، فالذي يقرب من المعرفة العلمية هو المعرفة الارتجالية ، أمّا الخرافية فلا يستقيم لها معنى بطريق النقد، لكن تبقى أحكام القيمة هي الجاهزة في البيان مثل الحكم على أنّ هذا حرام ، وهذا مكروه ، وهذا واجب ، والكلام بالوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، ولا يصلح لهؤلاء غير خطاب الوعد والإرشاد، والتوعية والتوجيه... وتبقى الممارسة الشعوذية باسم الإسلام موضوعا حيّا للأبحاث السوسولوجية ، والنفسية والأنثروبولوجية لأنّها من صميم عمل المجتمع ، فكلّ الظواهر الشعوذية والخرافية ظواهر

مجتمعية وإنسانية وجد البحث السوسولوجي والسيكولوجي طريقا لها، فجعلها مجالا لبحثه، وأصدر بشأنها أحكاما شمولية وجارفة عدّها "من الدين" ، ولعلّ السّبب يكمن في أنّ هذه الدراسات لا تميز بين حدود المعارف الثلاثة السابقة والتي تولّدت عنها أعمال من نوع معيّن، فكلّ عمل يجب أن يُحاكم من منطلق دوافعه المعرفية .

5-قواعد بناء النظرية:

"بناء النظرية" أو "تأسيس النظرية" كلّها أمور تؤول إلى شيء واحد ، البناء ليس هو التّفسير والوصف ، والتأسيس ليس هو التّأصيل أو التّفصيل ، تلك حدود معرفية يجب التمييز بينها.

من مستلزمات بناء النظريات ما يلي:

أولا: أن يكون الراغب في البناء صاحب حرفة، تظهر عليه صنعة الفن الذي يريد بناء النظرية فيه، البناء لا يكون للمتطفل على المجال، ولا يتأتّى للهاوي بل للممارس للصّناعة بأقدمية ظاهرة.

ثانيا: التمكن من جزئيات العلوم، أعني بذلك أجزاء العلم، ثم العمل على تركيبها وفق خطة منهجية معيّنة، والنّظرية تُنحت من مجموع التّراث ، فالتراث كم هائل لا يتمّ التّغلب عليه إلا بتوليد نظرية تمتح من أجزائه ، إنّ تمثل الأجزاء على الطريقة التي وصفنا هي التي تُعطي للنظرية المراد تكوينها طابع المشروعية ، فكم من نظرية مولدة من ثقافة أخرى يراد لها أن تدرس تراث آخر، وهذا من الإسقاط الممقوت.

ثالثا: نقض المخالف والتّقيض مهمّ جدّا في البناء، لا يستقيم بناء مع وجود عناصر الهدم قائمة، نقض النقيض مهم جدا.

رابعا: توليد المصطلحات، ولا بدّ للمصطلح أن يكون مصطلحا فنيا، والتوليد لا يكون إلا بعد التمكن، وعلى المؤلّد للمصطلح أن يدرك مفهومه أو مفاهيمه جيّدا، ومن مجموع المصطلحات المؤلدة تُبنى النّظرية.

خامسا: البعد عن الاستطراد، والإينشاء المجازي، والحكي والسرد، والإطالة في التّصوص، فهذه العناصر ليست من مستلزمات بناء النّظريات، فالنّظرية تُبنى بلغة نظامية، وبأفكار دقيقة وبأسلوب بنائي.

سادسا: وضوح المنهج، فوضوح المنهج من وضوح الرؤية، والمنهج المقصود في الكلام هو المنهج التّركيبي، ونعني به تكامل العلوم والمعارف الذي يجب على صاحب النّظرية التمييز به، كلما كانت الرؤية واضحة كان المنهج واضحا.

سابعا: إبعاد العاطفة، والتحلّي بالعقل النّقدي، إبعاد الذّاتية واستحضار الموضوعية، إبعاد النّظرة الكميّة واعتماد الرّؤية الكيفية، والرّؤية الكيفية في مُجمل الكلام لا بكثرة الكلام.

ثامنا: اعتماد الأدوات والآليات الصّالحة لبناء النّظرية من ذات الدّراسات الإسلاميّة لا من ذات الدّراسات المجرّدة، من ذلك انتقاء المصادر والمراجع الدّالة على البناء، واستبعاد كل ما لا يصلح في البناء.

تاسعا: في عملية البناء يغيب التاريخ وتحضر البنيوية، يُستبعد المجاز وتحضر الحقيقة، يُجتنب الكلام العام ويحضر التقييد والتحديد.

عاشرا: تحتاج النظرية إلى تفكير استراتيجي ، يختزل الماضي في الحاضر، وينظر إلى المستقبل ، يستحضر التّأصيل قبل التفعيل ، بمقادير معينة ومحسوبة .

رابعاً: شروط البحث

نعني بالشّروط الشّروط العلمية المطلوبة في البحث، ونعني بالبحث هنا الموضوع المُختار ، ويجب التّفريق بين الموضوع والبحث، الموضوع هو مجال للبحث، والبحث هي العملية العلمية التي يقوم بها الباحث لبحث موضوعه ، هذه الشّروط لها صلة بالفهم قبل الإنجاز وأثناء الإنجاز، وهي :

1-شروط زمانية:

للبحث زمنٌ محدّدٌ ، هذا الزمنٌ قد يرتبط بالفترة المحدّدة للإنجاز بحيث إذا تجاوزه الباحث يلغى بحثه ، كما أنّه لا يمكنه أن يقدم بحثاً لا يحترم الشّرط الزمني ، فإذا كان زمن البحث خمس سنوات فلا يمكن للباحث أن يقدّمه في سنة أو في سنتين.

2-شروط منهجية:

أي المنهج المسلوك في البحث ، ويجب على الباحث أن يبقى وفياً للمنهج العلمي الذي ينتمي إليه البحث ، فإذا كان البحث في العقيدة مثلاً فعلى الباحث أن يسلك في بحثه المنهج ذاته ، لكنّه يبدع في الخطّة ، فالخطّة يجب أن تكون مُحكمة ، ومتوازنة ومُستوعبة ، وهيكلتها تكون بحسب طبيعة الموضوع، ومن مستلزمات المنهج : النّقد والمراجعة والتّقويم، وهذه كلّها أمور تجعل الباحث متحكّماً في الموضوع.

3-شروط شكلية:

على البحث أن يتوفّر على قدرٍ من الجمالية في الطّباعة والإخراج، وجودة الورق والخط ، والتفنّن في كتابة العناوين، واستخدام الألوان عند الضرورة ، صفحة البسملة والإهداء والشكر لا ترقّم لكنّها تدخل في العد الإجمالي.

4-شروط موضوعية:

وتتعلّق بالموضوع المُختار، يصاغ عنوانه بدقة وباختصار ، ويكون مثيراً للاهتمام ، وفيه جدّة وابتكار، ويدخل في هذه الشّروط الالتزامات القانونية والأخلاقية .

ويدخل هنا شرط الشّمول والإحاطة بالموضوع المبحوث؛ حيث يحاول الباحث أن يحيط بموضوعه من كافّة جوانبه، فلا يكون البحث عبارة عن مُلامسات حتى لا يُعاد بحثه من جديد.

5-شروط لغوية وأسلوبية:

نعني بها لغة العلم والأسلوب العلمي ، فاللغة أداة الأفكار، وهي الحاملة للمعنى من الدّاخل على الخارج ، من تطابقت لغته مع فكره كان عالما، ومن ضعفت لغته أمام فكره كان عاجزا ، ومن هيمنت لغته على فكره كان شاعرا وأديبا بيانيا ، هذا علاوة على سلامة اللّغة وصفاء الأسلوب، ويجب تنقية البحث من الأخطاء اللّغوية والنّحوية والمطبعية.

6-شروط مكتبية:

أي : اعتماد المصادر والمراجع الكافية ، والدالة على الموضوع المبحوث ، وأن لا تكون كثيرة، لأنّها إن وُجدت في الموضوع فلا داعي لبحثه ، كما أنّ الباحث لا يجب عليه إخفاءها فهذا غش في البحث العلمي ، المصادر التي لها صلة بالعلم وبالمجال العام للبحث يجب أن تكون هي الغالبة،

وهذه المصادر والمراجع تُصنّف حسب الفنون العلمية إن كانت كثيرة،
وتُرتّب على معيار معيّن داخل كلّ فن.

7- شروط توثيقية:

التّوثيق من الثّقة، كلما كانت المعلومات موثّقة كلما حصل الاطمئنان
إلى الباحث، وعدم التّوثيق إهمال وغش وخيانة للأمانة العلمية، ولا
يوثّق الباحث إلا ما ليس له ، وما ليس له هو لغيره ، وما هو لغير هو
دين عليك يلزمك الوفاء به، لأنّه بحث الموضوع قبلك ، وأطلق الألفاظ
والمصطلحات، واستخدم المنهج قبلك. الآيات توثّق من المصحف
الشريف، ولا تُرمى في الهامش، والأحاديث تُخرج تخريجا علميا من
مظانها من دون الإكثار منها، وكذلك كتب اللّغة والتّراجم يُرجع فيها إلى
طبقات علماء الفن، والنّصوص المقتبسة توضع بين قوسين ، وينقل
النّص بأمانة ويوثّق، ويعلم على الحذف بثلاثة نقط مطلقّة أو بين
معقوفتين، ولا يجوز التّصرف في النّص، وتصحيح الخطأ يُعلم عليه

ويُثبت في الهامش، ويجب أن يكون التّطابق تامًا بين أرقام الإحالات في الأعلى ونظيرتها في الهامش، كما يجب أن يكون التّطابق تامًا بين أرقام الموضوعات في فهرس الموضوعات ومضامين الرّسالة، وكذلك المصادر والمراجع المثبتة في فهرس المصادر والمراجع.

8-شروط تأصيلية:

يجب أن يتوفّر البحث على قدر معقول من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصّحيحة، تكون دالّة على المراد ، وتشهد للموضوع ، ويأتي بها في سياقها، زد على هذا المحافظة على " القواعد البنائية للعلم".

9-شروط واقعية:

قيمة أي بحث ليست في تجريده بل في العمل به ، وهذا وصف من مواصفات الجودة في البحث العلمي، وهو انخراط العلم في المجتمع ، ولّى عصر وصف الدّين بالغيبية والتّبريرية والمثالية إلى غير ذلك، الدّين موجود في المجتمع، وظواهر التّدين المذمومة كثيرة جدا، والمستجدّات

كثيرة كذلك ، فالعلوم خادمة للدين، والله تعالى يقول: (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً).⁹

10-شروط أخلاقية تربوية:

البداية بالبسملة والحمدلة في بداية البحث، والتصلية على النبي صلى الله عليه وسلم ، والترضي على الصحابة، واجتناب التكنية برمز (ص) ،أو (ض) ،أو (ع س) إلخ، والمحافظة على الألقاب العلمية المستحقة، مثل : الدكتور،الأستاذ ،العلامة ،الشيخ ، الإمام ، الفقيه، الزاهد إلخ، ومما يدخل في هذا الشرط التّواصل مع الأستاذ المرشد أو الموجه أو المشرف، فإنّ ضعف الصلة أو انقطاعها له تأثير كبير على البحث العلمي، الطالب الذي لا يسأل ولا يتواصل مع شيخه فيه خصلة من قلة الأدب حتى ولو كان مستواه جيدا.

9- سورة المائدة الآية 4.

خامسا: إفادات في بناء الذات

1- حضور مناقشة الرسائل الجامعية

تملك طرق خطة البحث العلمي وكيفية إنجاز البحوث من الناحية

المنهجية تستمدُّ في الغالب من ثلاثة منابع:

أ- يمكن للطالب أن يقرأ كتابا أو مقالا، وما أكثر الكتب والمقالات

الموجودة في الموضوع بلغات مختلفة، وفي فنون مختلفة، مع العلم أن

للقراءة شروطها وضوابطها.

ب- ومنهم من يحضر دورة تكوينية، وهذه الدورة قد تكون في يوم، أو في

نصف يوم، أو في يومين، أو في ثلاثة أيام... قد تكون خاصّة بالتحقيق

مثلا، وقد تكون في مناهج العلوم وطرق البحث بصفة عامّة، وقد تكون

تطبيقية كلّها، أو نظرية كلّها، أو تتخلّلها ورشات تطبيقية بعد

المحاضرات التكوينية النظرية.

ج- ومنهم من يواظب على حضور مناقشة رسالة جامعية، محصورة في الوقت، وفي الموضوع، وفي عدد المتدخّلين الذين هم أعضاء لجنة المناقشة مع الأستاذ المشرف.

إذا اقتصر الطالب على المنبع الأول والثاني فيها ونعمت، وإذا اعتمد على الثالثة كان خيرا له، لأنّ حضوره للمناقشة يُغنيه، ذلك أنّ المناقشة تُعطيه جرعات ناجعة ومركزة، تختصر عليه الطرق فتجعله في سلامة علمية ومنهجية دائمة.

المقصودون بالموضوع عندنا على ثلاثة أصناف:

صنف من المسجلين لأطروحاتهم في الدكتوراة والماستر والتي هي قيد البحث والإنجاز ، وصنف يطمح في المستقبل ليكون من الباحثين ، ويرغب في تسجيل رسالة جامعية ، وصنف ثالث هو "باحث" ، وليس كل باحث "طالبا باحثا" ، يرغب في الاستفادة العلمية وفي تنمية قدراته المعرفية، إلى هؤلاء أوجّه هذا الكلام الذي أرجو أن يجد لديهم أذانا

صاغية ليواظبوا على حضور جلسات مناقشة الرسائل والأطروحات، ويدخل في هؤلاء جميعا الذين نُشرف عليهم، والذين لا نُشرف عليهم، الذين هم في مراكش، والذين هم من خارج مدينة مراكش، ولم لا، قد يكونون من خارج المغرب، فالحكمة ضالة المؤمن، وطلب العلم لا حدود له ولا قيود، ولنا في اجتهاد من سلف قدوة وأسوة، أولئك الذين سنُّوا الرحلة في طلب العلم، وكفى بالأمصار فخرا أن تشتهر بمن برز فيها لا بما ظهر فيها.

حين يُسجّل الطالب الباحث رسالته فإنّه يكون قد "وثّق عقداً" إنجاز رسالة علمية في موضوع محدّد، وفي وقت محدّد، وبإشراف محدّد، وكل ذلك وفق الشّروط العلمية والمنهجية المنصوص عليها والمتعارف عليها عالميا، لذلك لا مناص له من أن يُحسّن من مردوديته العلمية في مجال اكتساب مهارات البحث العلمي، ويرفع من طاقته الاستيعابية، استيعاب المعارف والأفكار، ويعمل على شحذ أدواته ليقوم بواجب الإنجاز، ومن

الأمر المنصوص عليها الحضور إلى دورات تكوينية في مجال البحث العلمي والتي قدرها القانون بساعات محدّدة.

بالإضافة إلى ما تقدّم تتضمّن هذه الفقرة إفادات في بيان المنافع والإيجابيات التي تُجنى من حضور مثل هذه المناقشات ، والدّافع إلى تسطير هذه الكلمات سببان :

الأول: الغياب المتكرّر لهذه الفئة التي تعنيها المناقشة، وقد يكون الدّافع العوامل الثلاثة الآتية:

1- أشغالهم وظروفهم التي لا تسمح لبعضهم بالحضور، لكنّ هذه الظروف ليست دائمة، ولا عامّة على الجميع، ثم إنّ الطّلبة لا يضعون بدائل تمكّنهم من الاستفادة ولو بفعل التّسجيل عن بعد أو عن قرب، ووسائل التّواصل اليوم أصبحت متاحة وممكنة، فهم يتواصلون لكن ليس على هذا المستوى.

2- عدم إدراكهم للمنافع التي تُجنى من حضور المناقشات، فصورة معرفة الإيجابيات غير معروفة عندهم.

3- استخفافهم بالمناقشة بسبب غرور بعضهم بالمعرفة، وهي قضية سأرجع إليها في نقطة مستقلة.

الثاني: أنّ الملاحظات التي تُوجَّهها لجنة المناقشة لهذا الطالب هي نفسها التي تُوجَّهها للآخر، فالأخطاء متماثلة بذاتها، هي نفسها تتكرّر في كل رسالة بل - وهذا أفضح- تجد في الثانية ما هو أشد من الأولى، وفي الثالثة ما هو أفضح من الثانية، وفي الرابعة ما هو أقبح من الثالثة، وهكذا، فلا اجتهاد ولا ارتقاء، ممّا يدلّ على أنّ كلّ الطلبة الذين نناقشهم لا يستفيدون من أخطاء بعضهم.

من إيجابيات الحضور ما يلي:

1- تكسير المجهول وتبديد المخاوف: البحث بالنسبة للطالب عالم مخيف، هذه المخاوف تتبدّد كلما داوم على الحضور.

2- معرفة الأساتذة المتخصّصين الذين حجّوا إلى هذه المناقشة من جهات مختلفة ، إذا أراد الطّالب الباحث أن يلتقي بكلّ واحد منهم فإن هذا سيكلّفه بذل الجهد والوقت والمال ، إذن ، هي فرصة ساقها الله إليه عليه أن يغتنمها ، فإذا كان يعرفهم فهي فرصة تُتيح له تجديد معرفته بهم، أمّا إذا كان لا يعرفهم فعليه أن يغتنم هذه المناسبة ، ولمّ لا، فحضوره قد يكون دافعا نحو مُساءلتهم ، واستشارتهم ، وفتح حوار علمي معهم.

3- بعض الطّلاب يغتروّن بالمعرفة، وأعني ب "المعرفة" المكتسبات السّابقة التي حصلوا عليها في بيوتهم، أو مع بعض شيوخهم ، وهذه المعرفة وإن كانت ضرورية في بعض الحالات فإنها تشكّل عائقا معرفيا عند البعض ، تمنعه من أخذ المعارف والعلوم الإسلامية الأخرى بطريقة "نظامية" ، فالدراسات الإسلامية علوم ومعارف وليست "علما واحدا" و"معرفة واحدة"، وقد تحول -تلك المعرفة المسبقة- إلى عائق تحصيل

المناهج وطرق البحث والقواعد والضوابط ، فالمعرفة وحدها لا تكفي، بل لا بد من المنهج ، ولهذا السبب يزهد بعض الطلبة في حضور المناقشات استخفافا، هؤلاء يصاحيهم العجز أينما حلّوا وارتحلوا في إنجاز إنتاج علمي منهجي أكاديمي ، وإذا كتبوا وقعوا في أخطاء منهجية فضيعة.

4- بعض الطلاب لهم معارف مسبقة ، ولامسوا موضوع المنهج ، فقرأوا في كيفية إنتاج البحوث، وحضروا لبعض الدورات ، وتملكوا خطة الإنجاز لكن اللغة العلمية غير موجودة ، وتقنيات البحث والتحرير مفقودة ، فكان منهجهم في البحث عبارة عن هيكل عظمي لا لحم فيه.

5-المأمول من الطالب الباحث هو أن يجمع بين الحُسنين ، بين تملك المادة العلمية على مستوى المعرفة من مصادرها وتملك خطة إنتاج المادة العلمية، فإذا كان بحث الإجازة هو أخذ فقط ، وبحث الماستر هو أخذ وعطاء فإن بحث الدكتوراه هو عطاء أو يغلب عليه العطاء، كم

من طالب قدّم رسالته في الدكتوراه بمواصفات بحث الماجستير، وكم من طالب قدّم بحث الماجستير بمواصفات بحث الإجازة، حين يُواظب الطالب على حضور المناقشات تستبين له هذه الحدود، وتظهر له الفوارق.

حضور المناقشات على أنواع :

الأول: حضور مُجاملة للمشرف ، أو لأحد أعضاء اللجنة، أو حضور شرفي كضيف من ضيوف الطالب صاحب الرسالة.

الثاني: حضور جزئي لا كلي، يحضر الطالب بجسده لا بعقله ، تمرّ عليه الجلسة من دون الاستفادة منها.

الثالث: حضور كلي، هنا يكون الطالب مُركّزا، مُتابعا ومُنتبها.

الرابع: حضور من أوّل الوقت أو في آخره ، الحضور في أول الوقت مؤشر دال على الحرص والجديّة ، والحضور في آخر الوقت مؤشر دال على التهاون وعدم الحرص.

للحضور لوازمه التي تقتضيه وتدللّ عليه ، من هذه اللوازم إعداد
العدّة، من الطّلاب من يحضر مُستمعا، مُستلقيا على ظهره ويداه في
جيبه ، كأنّه يتابع مسرحية أو مُقابلة كرة قدم ، غافل ولاه ، لا يُسجل
شيئا ممّا يسمعه بأي نوع من أنواع التّسجيل، ومن الطّلاب من هم
بخلاف ذلك ، يعدّون العدّة، ويحضرون اللوازم، وفي الحديث: (قيّدوا
العلم بالكتاب).

وفي الختام نقول : إنّ مناقشة الرّسائل والأطروحات نعمةً مغبونٌ فيها
كثير من الطّلبة الباحثين، كلّما داوم الطّالب على الحضور كلّما قلّت
أخطاؤه، وتقلّصتْ هفواته، وضاحت مساحة الخلل المنهجي عنده،
وتهدّبتْ حمولاته المعرفية، والأهمّ من هذا هو زيادة العزيمة في التّهوض
ببحثه، ووضعه على الطريق السوي ليشقّ طريقه نحو عالم البحث
العلمي .

2- خصائص (المقارنة) في البحث العلمي

يحلو لبعض الطلبة الباحثين أن يضعوا كلمة "مقارنة" في عناوين أبحاثهم، ولكن حين قمنا بفحصها أدركنا أنّ " المقارنة " لا وجود لها على الحقيقة ، وحين تغيب خصائص المقارنة يبقى شكلها وصورتها ، وقد تغيب المقارنة وتحضر "المُقارفة" ، والمقارفة من القرف ، والقرف القشور، وهو تعبير عن أن البحث سطحي لا عمق فيه ، وهو فساد في البحث كما لا يخفى، ولربّما تُستخدم "المقارنة الصورية " للفساد في العلم ، وهو ما لا نُريده .

هذا ما تدلّ عليه " المقارنة " لغةً ، فالمقارنة من " قرن " ، ويطلق القرن على موضعِ برأس الثور أو الكبش أو التيس ، جمعه قرون ، والقِران : الجمع ، وعقدُ القِران يؤخذ من هذا ، فكأنّه أخذ بالقرنين فشدّ عليهما، ويفترض في القيام بالعملية التّعاصر ، فلا يستقيم عقد قران رجل بامرأة من زمن آخر ، ومنه القرين وهو الأسير لشدّ وثاقه ، لقوله

تعالى: (وآخرين مقرّنين في الاصفاذ)¹⁰، فكذلك المُقارنة ، فهي تقتضي التعاصر والتّقارب في الزّمن ، ويطلق على القرن "الزمن" ، وهو مفهومه لغةً أيضا ، ومنه "الاقتران" ، وهو المقدار الذي يقترن به أهل زمن معين في أعمارهم وأحوالهم ، ولذلك قالوا : القرن مائة سنة ، والقرن هو رأس المائة.

إذا أحسنّا الظنّ بالباحثين فإنّنا نوكّل الفعل إلى عدم المعرفة ، لهذه الأسباب بسطنا الحديث عن هذه الخصائص لعلّها تنير الطريق، وتسهّل عملية المقارنة .

من خصائص المُقارنة ما يلي :

أ- وحدة الموضوع العام، وهو "المجال"، فقد يكون المجال العام في الفقه ، أو الأصول ، أو الحديث، أو العقيدة ، أو التاريخ، أو الفلسفة

10- سورة ص الآية37.

، أو علم الكلام إلخ، فلا مقارنة بين أعمال لا يربط بينها تخصص واحد،

المقارنة بين عمل في التاريخ وآخر في القراءات هو مُقارنة ومُجازفة.

ب- وحدة الموضوع الخاص داخل حقل علمي واحد، فالانطلاق من

قضية جزئية في التخصص الواحد تُضفي على المقارنة طابع التحقيق

والتدقيق، تُبعد عن العموميات والكلام المجرد، فلا يلزم من " دراسة

مقارنة " في الفقه الإسلامي أن تكون من " الفقه المقارن "، فالفقه

المقارن شيء والدراسة المقارنة شيء آخر، وإلا أخذنا من الفقه المقارن

ووضعنا في الدراسة المقارنة، وهذا لا يستقيم علما ولا منهجا.

ت- وحدة الزّمن بحيث تكون أطراف المقارنة بينها تعاصر أو تقارب في

الزّمن، فلا تستقيم مقارنة بين علمين أحدهما في القرن الثاني والآخر في

القرن العاشر، أو أحدهما من الغرب والآخر من الشرق، فوحدة الزمن

تجعل المقارنة الفقهية، أو الأصولية، أو الحديثية مثلا دالة وخصبة،

والسبب يكمن في اتّحاد الأطراف في فقه الوقت، وعلم الوقت، وثقافة

الوقت، ومستجدات العصر.

ث- تحديد أطراف المُقارنة بين عَلمَين بينهما مُلابسة ما، وقد تكون بين كتابين أو نظريتين أو شرطين أو قاعدتين أو منهجين أو مصطلحين إلخ، ولكلّ حالة من هذه الحالات خصوصيتها، فالمقارنة بين عَلمَين ليست كالمقارنة بين قاعدتين أو نظريتين.

ج- تحديد موضوع المُقارنة في قضية مختلف فيها، توجد فيها اجتهادات متباينة ترجع بالفائدة على العلم والعمل، ولا تكون دراسة مُغرقة في الماضي، لقد حظيت الوقائع والعصور القديمة بدراستين: الأولى قام بها العلماء المتقدمون، والأئمة المبرزون ، فابن حزم مثلاً خدم واقعه، وكذلك فعل السيوطي ، وابن العربي، والغزالي، وابن رشد، والثانية يقوم بها باحثو(نا) المحدثون، حين يأخذون تلك المعارف ويكرّرونها في واقعهم، وينسى هؤلاء أنّهم يعيشون في واقع غير واقع القُدامى، فنقل الكلام وتكراره يجعلهم يخدمون واقعا مضى، ومن هنا فإنّ الوقائع الماضية تحظى بدراستين: دراسة علماء ذلك الوقت، ودراسة علماء هذا الوقت، وحتى مقولة " المتّفق عليه " أو " المختلف

فيه" إنما تقتضي التعاصر، وقرب العلماء بعضهم من بعض، وذلك في النظر إلى القضايا المصيرية للأمة في عصرهم، فما هو متفق عليه سيبقى كذلك، وما هو مختلف فيه سيبقى كذلك، ولا يمكن للمتأخر زمانا أن يغير المتفق عليه إلى مختلف فيه والعكس، فلينظر أهل العصر إلى مستجدات عصرهم.

ح- تقتضي المقارنة طرفا ثالثا، هذا الطرف هو المقارن - بكسر الراء-، وهو الباحث، وهذا من الخصائص، فلا تستقيم المقارنة بحضور الأطراف وغياب المقارن، يجب أن يكون حاضرا في البحث بقوة: يُقوّم، ويوجّه، وينقد ويصوّب وإلا كان البحث زكاما من الكلام بعضه فوق بعض.

خ- من الخصائص المنهجية في الدراسة المقارنة " التطبيقات " لا دراسة مقارنة من دون تطبيقات يقيمها الباحث وينطلق منها، "التطبيقات" تقلل من المصادر والمراجع، فلا يأخذ المقارن منها سوى

كتب اللّغة والمنهج والقواعد ، لكن إذا غابت التطبيقات كثرت النّقول ،
وإذا كثرت النّقول تعدّدت المصادر والمصادر.

د- تحديد سبب المُقارنة ودوافعها ، وهذا يذكر في المقدّمة بكلّ
وضوح، لأنّ تحديد السّبب يعين على الوصول إلى النّتيجة بسلام.

ذ- تحديد الهدف والقصد من المُقارنة ، وهي خاصية أساسية مثل
السّابقة ، تذكر في المقدّمة أيضا ، وتُحدّد بوضوح وإلا كان البحث عبثا .

ر- تعيين الدّراسات السّابقة ، وذكر من سبق إلى هذا الموضوع ، ومن
تكلم فيه ، وما الجديد الذي ستضيفه هذه الدّراسة ، كل هذا يُذكر في

المقدّمة ، ويُحدّد بدقّة ، وإذا ذُكرت هذه الدراسات يُعلّق الباحث عليها
تعليقا علميا.

ز- من خصائص المُقارنة التحلّي بروح العلم والإنصاف ، والبعد عن
الغلو والتطرّف ، ونبذ التّعصب للمذهبية والطائفية والعرقية إلخ ،

وهذا من أخلاق وآداب العلماء التي يجب التحلّي بها في المُقارنة وفي
غيرها، لكنّها هنا أوجب وأوكد.

خاتمة:

في الآفات الأربعة في البحث العلمي.

نرغب بهذه المحاضرة وبغيرها في تحصين البحث العلمي من الوقوع في الآفات الأربعة الآتية، أو لنقل بلغة "الوعظ العلمي": (اجتنبوا الموبقات الأربعة: التطرف والتعجرف والتجريد والسرقعة).

1-المتطرف ينتهك قواعد البحث العلمي ، يريد نصوصا بلا علوم ، وفهما بلا قواعد.

2-المتعجرف (المتكبر) ينتهك القواعد الأخلاقية للعلم والمعرفة، سواء أكان عالما أو متعلما، تعجرفُ العالم يُبعده عن العلماء والمتعلمين، وتعجرف طالب العلم يُبعده عن التعلّم والتحصيل .

3-التجريد: وهو تعليق الأفكار عن الفهم، وهو ما نُطلق عليه "اللامفهوم"، فهذا النوع من الخطاب ينتهك قواعد الممارسة العملية

وربط العلم بالعمل، فإذا تساهلنا في وصف هذا الخطاب بـ "العلمية"

فإنه علمٌ لأجل العلم، العلم الذي لا يُبنى عليه عمل.

4-السَّرقة: وهي التّطاول على علوم الناس وإنتاجاتهم، وهو على أشكال:

سرقة المنهج ، سرقة المصطلحات، سرقة الموضوعات، سرقة الأفكار،

وتدخل فيها السَّرقة النّاعمة والخشنة، وإذا كان الأول قد انتهك القواعد

العلمية المنهجية، والثّاني انتهك القواعد الأخلاقية، والثالث انتهك

حقوق الواقع والمجتمع بالتّجريد فإنّ الرّابع قد انتهك قواعد الأمانة

العلمية.

الشكر للجميع، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات.